لواء الحمد
مجلة علمية نصف سنوية تعني بالمعارف الإسلامية
السنة الخامسة ـ العدد التاسع (صفر ـ رجب ١٤٤٦)

كلمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

قد قيل عن الدراسات الحديثيّة من وجهات النظر المختلفة فى هذا المجال مراراً. الآن هو الوقت المناسب أن ننظر إلى هذه المهمّة من وجهة النظر الأخرى و نتمتّع منها تمتّعاً آخر. البحث فى هذا المقال هو تتابع آفاق المستقبل فى ضوء هذا السؤال الرئيسى و هو: ما هو مستقبل الدين؟ و ما هى مكانة الدراسات الحديثيّة فى هذا الفضاء المقبل؟

الاجابة عن هذا السؤال، هي مقدّمة لأسئلة أخرى مثل هذا و اهميّتها واضحة للمتميّزين.

نظراً الى الزمان و الامكانيات المحدودة لدينا، من جهة و المحيط الشاسع من الابحاث الحديثيّة بالقوّة و بالفعل من جهة أخرى،كيف يمكن لنا أن نتمتّع من هذه الامكانيات المحدودة افضل التمتّع؟

ما هي مكانة عناصر مثل تحديد الاولويات و البصيرة فى قراراتنا؟

للإجابة عن هذه الاسئلة يطرح لنا سؤال آخر و أهميّتها لا تقلّ عن الاسئلة المذكورة.

ينبغى أن يقال كمقدّمة: لقد عرّف بعض خبراء الادارة أعمالاً بأنّها معادية للاولويّة:

الف) الأعمال التى يجب أن نتوقّف عنها.

ب) الأعمال التى لا نبدأ بها ابداً.

ج) الأعمال التى نؤجّلها.

الكلام فی هذا: ما هو مضادّالاولویّة فی الدراسات الحدیثیّة؟ و کیف نحترز عنها حتی لا نقع فی فخّه؟

من الواضح، لا یمکن معرفة الاولویّة جیّداً، حتی نعرف مضادّ الاولویّة. أي حرکتنا ستکون عمیاء علی طریق ظلماء و دون مصابیح ساطعة. وفی بعض الاحیان أثناء عملیّة التبریر، یکون الأمر باهظ الثمن و غیر مجدی.

ما الهدف الذی نتّجه فی عملیّة دراسة الحدیث؟(الواقعیّة)؛ و فی ایّ إتّجاه یجب أن نتحرّک؟(المثالی). بدون الاجابة عن هذا السؤال، فإنّ عملنا یدور حول الاستمتاع بالمهام الصغیرة و المتناثرة التی تتمّ تنفیذها فی الزوایا، دون أن یکون واضحاً لأحد، أنّ کلّاً من هذه الاعمال و مخرجاتها تملأ ایّ الفراغ و الی أیّ جهة واضحة نسیر؟

سؤال الله تعالی دائماً ملفت النظر و منبّه و منذر و موجد المسؤولیّة کما یقول: «فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ» (التکویر:٢٦)

یجب أن یکون هذا النقر، دائماً علی رأس خططنا و قراراتنا بشکل واضح و حیوی. و علی مدراء مراکزنا الثقافیّة و التعلیمیّة و البحثیّة أن یعلموا أنّهم أمناء علی إمکانیات مراکزهم بما فیها من التسهیلات الماليّة و البشریّة و لیسوا اصحابها.

اداء الامانة علی النحو الامثل، یتطلّب إهتماماً فی الرأس و مراجعة جدیدة للعمل و تطلّعاً طویل الامد. و بدون ذلک یصبح الحدیث عن الامانة بمثابة مزحة.

ما نرید أن نناقشه في هذه الکلمة القصیرة هو نفس الأصل الذی اشیر الیه فی المصادر السابقة بصفة «ترجیح بلامرجّح» أو «ترجیح المرجوح علی الراجح»، و إعتبروه ضدّ الحکمة. یؤکّد علم الإدارة الیوم صحّة هذا الاصل العقلانی و لذلک فإنّ الادارة الثقافیّة تعتبر الالتزام بهذا الاصل بمثابة مقدّمة إلزامیّة لایّ عمل علمیّ و ثقافيّ. لکن ما حدث هو: لماذا أنّنا نسینا هذا الاصل المسلّم العقلی واتّجهنا الی حرکات متفرقة و حتی لو کانت هادفة؟ علی الاقلّ لم یتمّ تحدید الغرض الواضح لها و احیاناً یلغی کل منهما الآخر.

نحن نجد فی التعالیم المشعّة العلویة حول العلاقة بین الفرائض و النوافل رسالة واضحة جدّاً. یقول أمیرالمؤمنین علیه‌السلام:

«لا قُربَةَ بالنَّوافِلِ إذا أضَرَّت بالفَرائضِ» (نهج البلاغة، حکمة ۳۹)

«إِذَا أَضَرَّتِ النَّوَافِلُ بِالْفَرَائِضِ، فَارْفُضُوهَا» (نفس المصدر، حکمة ۲۷۹)

«إنَّ لِلقُلوبِ إقبالاًو إدبارا، فإذا أقبَلَت فَاحمِلُوها علَی النَّوافِلِ، و إذا أدبَرَتْ فَاقتَصِرُوا بها علَی الفَرائضِ» (نفس المصدر، حکمة ۳۱۲)

و لعلّه بتوسیع معنی الفریضة و النافلة، یُمکن اعتباره خارج نطاق الاستعمال الفقهی (الفروع و الاحکام). و مع هذا ینبغی لنا أن نفکّر ملیّاً قبل القیام بأیّ عمل أو خطّة جدیدة و هو: هل هذا البرنامج فریضة أم نافلة؟ بعبارة أخری، هل لا مفرّ من القیام بذلک، أم إنّه من الممکن الوصول الیها بدونه؟ وبالطبع یجب أن یکون لدینا مقصداً محدّداً قبل ذلک؛ و الّا فإنّ مثل هذا السؤال سیکون سالبة بإنتفاء الموضوع.

علی سبیل المثال، یمکننا أن نعتبر جثّة بها العدید من الامراض الصعاب التی عهدت الی الطبیب. و طبعاً أوّل خطوة لعلاجه هی معرفة أنواع الامراض التی وصلت الی الجسم، ثمّ وزن کل واحد منها و مقدار الضرر الذی أحدثتها. و الخطوة التالیة هی الإنتباه الی الوقت الذّهبی الذی ینبغی مراعاته لعلاج البعض منها. و هو عندنا یضیع، یتضائل الامل فی الشفاء ذلک المرض لحظة بلحظة.

و تکون نتیجة هذا التحلیل الطّبّی إعداد خارطة الطریق لعلاج المریض. و هذا یعنی تحدید الاولویات و الاولویات المضادّة. و بعبارة أخری، الوصول الی ما یجب و ما لا یجب فعله، مع قید الزمان لکلّ منها.

علینا أن نقبل أنّ آفات قد وصلت الی الإیمان و معنویّة الجیل الجدید و بعضها لها جذور فی التّطورات العالمیّة، و یعود جزء منه الی التفسیر النظري غیر الصحیح للتعالیم الدینیّة من قِبل أولیاء الامور الدینیّة و جزء آخر یتعلّق بسوء سلوک الأمناء أو علی الأقلّ الشهرة بمثل هذا السلوک السّیّئ.

و من ناحية أخرى فإنّنا نعلم و نؤمن أنّه فی کلام أهل البیت علیهم‌السلام مثل القرآن یمکن العثور علی الشفاء للآلام الداخلیّة. یقول إمام المتقین صلوات الله علیه حول أحد ممیّزات أهل التقوی:«یُرَتِّلُونَها تَرتیلاً، یُحَزِّنُونَ بِهِ أنفُسَهُم، و یَستَثیرُونَ بِهِ دَواءَ دائِهِم» (نهج البلاغة، خطبة ۱۹۲). بهذه الطریقة یمکن العثور علی دواء الآلام من الکنز الثمین لکلمات أهل بیت الوحی.

هل یتمّ الحصول علی هذه النتیجة دون تحقّق هذه العملیّة؟

فی القرآن، یعتبر الله سبحانه أنّ الغرض من الإختبارات المتکرّرة للناس هو الحصول علی «أحسَنُ عَملاً» (الملک:۲) و یحذّرنا الامام الصادق علیه‌السلام، و فی هنا، المطلوب «أحسَنُ عَملاً» و لا «أکثرُ عَملاً». (الکافی ۲: ۱٦،باب الاخلاص) و من رسائل هذا الکلام للمعصوم، التجنّب من الکمّ و الإهتمام بالجودة، لیست علی مستوی الاختیار بین الجیّد و الردئ، ولکن الاختیار بین الجیّد و الافضل.

تعالوا ننظر الی هذه العبارات من دعاء مکارم الاخلاق لسیّد الساجدین علیه‌السلام: «وَ وَفِّقْنِی إِذَا اشْتَکَلَتْ عَلَیَّ الْأُمُورُ لِأَهْدَاهَا، وَ إِذَا تَشَابَهَتِ الْأَعْمَالُ لِأَزْکَاهَا، وَ إِذَا تَنَاقَضَتِ الْمِلَلُ لِأَرْضَاهَا.» (الصحیفة السجادیة، دعاء ۲۰). یبدو أن تکون هذه العبارات تفسیر توضیحی للآیة المذکورة، و بعد ذلک لیست هناک حاجة للشرح.

نجد فی هذا الدعاء المکرّم تعلیماً آخر عن سیّد الساجدین علیه‌السلام: یجب أن یکون علی رأس عملنا فی الثقافة الدینیّة: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَی مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اکفِنِی مَا یشْغَلُنِی الِاهْتِمَامُ بِهِ، وَ اسْتَعْمِلْنِی بِمَا تَسْأَلُنِی غَداً عَنْهُ، وَ اسْتَفْرِغْ أَیامِی فِیمَا خَلَقْتَنِی لَهُ».

لأیّ غرض خلقنا الله الحکیم و یوم القیامة لأیّ قضیة مهمّة سیسألنا؟

وقد أجاب فی القرآن إجابة مختصرة و مفیدة للسؤال الأوّل: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِیَعْبُدُونِ» (الذاریات:٥٦). فتح سیدالشهداء علیه‌السلام فی بیان توضیحی، العقدة من ملخّصات هذه الکلمة و یقول بهذا المضمون و هو: هذه العبادة لا تتمّ إلّا بمعرفة الله، و للحصول علی معرفة الله یجب الحصول علی معرفة حجّة الله، الذی یجب علی اهل کلّ زمان أن یطیعه (مَعْرِفَةُ أَهْلِ کُلِّ زَمانٍ إِمامَهُمْ الَّذی یَجِبُ عَلَیْهِمْ طاعَتُهُ. علل الشرائع

۱: ۹). یکتب المحدّث الکبیر الشیخ الصدوق فی ذیل هذا الکلام: «یعنی بذلک أن یعلم أهل کلّ زمان أنّ الله هو الذی لا یخلیهم فی کلّ زمان عن إمام معصوم؛ فمن عبد ربّاً لم یقم لهم الحجّة فإنّما عبد غیر الله عزّوجلّ». (نفس المصدر)

ینبغی و یجب أن نبحث عن جواب السؤال الثانی في کتاب الله الذی یقول: «ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ یَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِیمِ.» (التکاثر:۸). الاحادیث ذیل هذه الآیة کثیرة جدّاً و هی تقول إنّ النعمة المسؤولة فی هذه الآیة هی الولایة لاهل البیت علیهم‌السلام (تفسیر الصافی ۵: ۳۶۹-۳۷۰).

الآن تصبح أولویتنا الرئیسیّة و الاساسیّة واضحة في ضوء تعالیم الثقلین؛ کما یتحدّد في ضوء هذا الامر الراجح ایضاً الامور المرجوحة. إنّ أهمّ ما یجب علی دعاة الدین الیوم، الاهتمام به و التنبیه الیه، هو معرفة الامام المهدیّ عجّل الله تعالی فرجه. و الموضوعات الاخری تصیر تحت هذا الغرض ذات معنی. و من دونه لن نحصل علی شیء الّا الضلالة. یعنی؛ البیت الذی دمّر تماماً علی الرغم أنّنا نفکر غافلین فی رسم الشرّفة.

هذه هي الحقیقة الواضحة التی نقرأها فی الدعاء المأثور من إمامنا الموعود فی اقصر العبارة، و علینا أن نضعها علی روحنا و هي: «اَللّٰهُمَّ عَرِّفْنی حُجَّتَکَ، فَاِنَّکَ اِنْ لَمْ تُعَرِّفْنی حُجَّتَکَ، ضَلَلْتُ عَنْ دینی» (کمال الدین ۲: ۵۱۲،باب ۴۵).